تمهيد:

وصلت الحياة الفكرية في العصر العباسي إلى ذروة التطور والازدهار، ولاسيما في العلوم والآداب. وقد عرف العصر حركات ثقافية مهمة وتيارات فكرية بفضل التداخل بين الأمم. وكان لنقل التراث اليوناني والفارسي والهندي، وتشجيع الخلفاء والأمراء والولاة، وإقبال العرب على الثقافات المتنوعة، أبعد الأثر في جعل الزمن العباسي عصراً ذهبياً في الحياة الفكرية. وكانت العربية اللغة الرسمية في البلدان الخاضعة لسيطرة المسلمين، وكانت لغة العلم والأدب والفلسفة والدين لدى جميع الشعوب. وقد كتب النتاج بمجمله في اللغة العربية مع أن قسماً كبيراً من أصحابه ليسوا من العرب!! فقد نظموا وكتبوا بالعربية، فتأثروا بالاتجاهات الأدبية العربية وانحصر تجديدهم ضمن القوالب التقليدية والتجديدية، فالعصر العباسي حمل للأدب العربي كثيراً من التجديد، ولكن بروح وأطر تقليدية. من أهمها فن المقامة.

وهي فنٌ من الفنون اللغويّة في الأدب العربيّ وليدة القرن الرابع الهجري، وتهتم بنقل قصةٍ عن شيءٍ ما، وتعرف أيضاً بأنها نصٌ نثري يجمع بين فن الكتابة والشعر، وتشبه القصة القصيرة في أسلوب صياغتِها، ولكنها تختلف عنها بأنها تتميز ببلاغةٍ لغويةٍ في المفردات، والجُمل المستخدمة فيها، تصور أخلاق وعادات وفكاهات وعظات العصر، وغالباً ما ترتبط المقامات بقصصٍ خياليةٍ من نسجِ كاتبها وتذكر في المجالس الأدبية.

أولاـ المقامة في اللغة:

ـ تعريفها:

أ_المعنى المعجمي للمقامة:

جعل ابن منظور المقامة في باب (الميم) وهي تعني موضع القدمين، وقال: هذا مقام قدمي رباح غدوة حتى دلكت الجراح والمُقامة بالضم، الإقامة والمَقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس يقال أقام الرجل إقامة ومقامة. وذهب الزمخشري في أساس البلاغة إلى قوله: «المقام أو

المقامة كالمكان أو المكانة، موضع القيام فاتسع فيهما حتى استعملا استعمال المكان أو المجلس»[1] .

أما الجاحظ فقد أشار إلى المصطلح في كتبه المتداولة، حيث لا نكاد نجد ذكر لفظ مقامة بتاء التأنيث إلا في كتابه"البيان والتبيين"، وذلك في قوله «وفي مقامات الصلح»[2]، والمتتبع للنص يجد أن اللفظ إنما أريد به المكانة أو المنزلة.

أما القلشقندي في صبح الأعشى فقد راح إلى أن المقامات جمع مَقامة بفتح الميم وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس ، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة كأنها تذكر في مجلس واحد[4].

ب_المعنى الاصطلاحي للمقامة:

ورد لفظ المقام في القرآن الكريم في مواضع عديدة بدلالات مختلفة ولكن معظمها يشير إلى مدلول المجلس أو النادي وهي بمعنى:

1-مكان الإقامة: في قوله تعالى﴿قَالَ الَّذين كَفَروا للَّذين آمنوا أي الْفَريقَينِ خير مقَاماً﴾مريم الآية73

2- مجلس اللقاء (العرش):في قوله تعالى ﴿أَنا آتيك بِه قَبلَ أَنْ تقُوم من مقَامك ﴾النمل الآية39

3- موقف الشهادة: في قوله تعالى ﴿فَآخران يقُومان مقَامهما﴾ المائدة الآية 107

4- رفعة المنزلة: في قوله تعالى ﴿عسى أَنْ يبعثَك ربك مقَاماً محموداً﴾الإسراء الآية79

5-الإقامة: في قوله تعالى﴿وإذْ قَالَت طَائفَةٌ منهم ياأهلَ يثْرِب لَا مقَام لَكُم فَارجِعوا﴾الأحزاب الآية13

6-منزلة الربوبية: في قوله تعالى ﴿ ذلك لمن خاف مقَامي وخاف وعيد ﴾إبراهيم الآية14

7-واستُخدمت اللفظة بتاء مربوطة مرة واحدة في القرآن وكانت كذلك بمعنى المنزلة في قوله تعالى﴿الَّذي أَحلَّنا دار الْمقَامة من فَضله لَا يمسنا فيها نصب ولَا يمسنا فيها لُغوب﴾فاطرالآية35.

(1).مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1982،1م1402- هـ، ص16.

(2).الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، (دت) و(د ط)، ص269. .

أما ورودها في الشعر العربي فجاءت اللفظة في مواضع عديدة، واستخدمت للدلالة على الجماعة يجتمعون في مجلس أو مقام، ومنه قول سلامة بن جندل السعدي:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

وهنا تعني مجلس القبيلة أو ناديها.

ومنه قول لبيد يصف هيئه أهل هذا المجلس:

ومقَامـة غُلْبِ الرقَـابِ كَأَنـَهمِ * * جن لَدى طَرَف الحَسِيرِ قـيام

وفي قول زهير: **وفيـهِم مقَامات حسانٌ وجوههـم ** وأَنـديةٌ ينـتـابهـَا القَولُ والفعلُ**

يقصد به المجالس التي كان يحض فيها على الخير والإصلاح بين الناس.

وبذلك فلفظ المقامة في ظاهر سياق الكلام لا يخرج عن مفاهيم ثلاث أشار إليها عبد الملك مرتاض في كتابه" فن المقامات في الأدب العربي « وهذه المدلولات هي كالآتي:

1-مجلس أو موضع يقام فيه.

2-جماعة من الناس يجتمعون في مجلس.

3-موقف للفصل في خصومة أو حض على الخير»[(1)]

كان هذا شأن لفظ المقامة قبل ظهوره كفن قائم على يد بديع الزمان الهمذاني، والذي بدوره عرف المقامة بقوله « فالمقامة تعبير جامع لأحاديث أدبية، أنيقة الأسلوب، سياقها سرد قصص ومدارها على الكدية وعرض جوانب من اللغة والعلم والاجتماع»[(2)] ومن هنا تطور مدلوله «حتى صار مصطلحا خاصا يطلق على الحكاية وأحيانا على أقصوصة لها أبطال معنويون، وخصائص أدبية ثابتة ومقومات فنية معروفة [(4)]

(1).عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.ط، 2007 ، ص17. .

(2).عبد الرحمان ياغي، رأي في المقامات، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1985م،)د ط(، ص12.

أما المحدثون فقد تطرقوا إلى اللفظة انطلاقا من كونها تعبر عن فن انبثق عن القصة، وأفردوه بمؤلفات خاصة ككتاب "فن المقامة لشوقي ضيف" والذي أشار فيه إلى أن « المقامة من أهم فنون الأدب العربي خاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به، وهي غاية التعليم وتلقين الناشئة صيغ التعبير، وهي صيغ حليت بألوان البديع وزينت بزخارف السجع وعنيت أشد العناية بنسبها ومعادلاتها اللفظية وأبعادها ومقابلاتها الصوتية»(1) .

وعرفها عبد الملك مرتاض بقوله:« والمقامات فن أدبي قائم بذاته لا يعني الجلوس ولا الجالسين وإنما يعني أقصوصة ظريفة، أو حكاية أدبية مشوقة أو نادرة من النوادر الغريبة، ويضطرب فيها أبطال ظرفاء يتهادون الأدب ويتبادلون النكت في ابتسامة ثغر وطلاقة وجه، فقد أصبحت المقامة تعني منذ ظهور فن البديع الأقصوصة أو الحكاية أو النادرة المصبوبة في ألفاظ أنيقة وأسلوب مسجوع»(2) .

2. موضوع المقامة:

لم يقتصر موضوع المقامة عند البديع على غرض واحد، بل كان متعدد المواضيع" حقا إن أكثر المقامات موضوعها الكدية والاستجداء، إذ يظهر أبو الفتح الإسكندري في شكل أديب شحاذ يغلب الجماهير ببيانه العذب ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم وتراء بهذه الصورة في بلدان مختلفة ولعل ما دفع بديع الزمان أن يسمي المقامات بأسماء البلدان ومعظمها بلدان فارسية.

أ ــ أصل نشأة المقامات:

إن الإرهاصات الأولى لظهور فن المقامات هي ذات طابع اجتماعي بالدرجة الأولى، وترجح جل المصادر أن الأسبقية كانت لبديع الزمان الهمذاني في هذا الفن، إذ كانت مقاماته تروي مغامرات الكديين(3) هؤلاء الذين كانوا أعرابا، قوما متشردين يمتازون بالجشع والبراعة في السؤال، وقد كانت لهم حيلهم الخاصة التي يلجؤون إليها للنصب والاحتيال وكذا اقتناص المال « فقد كانوا يغرون

---

(1).شوقي ضيف، فن المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، د.ت، ص02.

(2).عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص29.

(3).المقصود بها طائفة من العامة تعيش على طرق متعددة من الطرق غير المشروعة كاللصوصية والاحتيال والتهديد والتسول وغيرها من الطرق ويذكر ان اغلبهم من غير العرب.

بالأجواء والأغنياء، وربما عامة الناس أيضا، إغراءا شديدا، يظاهرهم على ذلك ألسنتهم الفصيحة ولهجاتهم المليحة، وطمعهم في نيل بعض الدراهم بدون ما عمل»[1].

وكان هؤلاء المتسولون على علم بطرق فنية كثيرة لاستخلاص الأموال والطعام مستغلين بذلك ظروفا معينة، فقد كانوا يتقنون أساليب اللغة أيما إتقان، كانت أحاديثهم تتسم بالأناقة اللفظية قصد التأثير في المستمعين واستمالتهم، فيلجؤون إلى كل حيل المكر والدهاء للاستجداء وكسب العطف، «وكانت هذه الأحاديث قصيرة في معظمها، أما الأبطال ولهجتهم فشيء واحد، إذ أنهم لا يعدون أن يكونوا فصحاء ينثرون الدر من أفواههم ويلفظون السحر من ألسنتهم»[2].

يرى المؤلف الفارسي محمد تقي بهار في كتابه "سيك شناسي يا تاريخ قطور نثر فارسي" أن لفظ مقامة من ابتكار بديع الزمان الهمذاني، والذي استعمله بمعنى المجلس حين قال في المقامة الوعظية: «قال عيسى بن هشام: فقلت لبعض الحاضرين من هذا؟ قال: غريب قد طرأ لا أعرف شخصه، فاصبر عليه إلى آخر مقامته، لعله ينبئ بعلامته... »[3] وذكر لفظ مقامات في المقامة الاسدية، ويجزم مارون عبود بكل وضوح أن فن المقامة من إبداع الهمذاني، ويوافقه عبد المالك مرتاض في أن الهمذاني هو مؤسس فن المقامة، إلا أنه لا ينكر تأثر بديع الزمان بغيره في استلهام الفن ومصطلحه، فمن التعسف العلمي أن يجزم أي باحث بأن الهمذاني أوجد مقاماته من عدم، وذلك ما يؤكده يوسف نور عوض من أنه أشار إلى أن هناك جملة من المؤثرات الفنية والأدبية كان لها أثرها في صناعة المقامة؛ تمثلت في كتاب البخلاء للجاحظ، ورسالة التربيع والتدوير، وحكاية أبي القاسم البغدادي، ورسائل إخوان الصفاء.

الا أن هناك آراء ومنها أحمد ضيف تعتقد أن المقامة أصلها فارسي، وأنها انتقلت من الفارسية إلى العربية،

يذهب المستشرق الانجليزي مارغو ليرث في دائرة المعارف الإسلامية إلى أن بديع الزمان الهمذاني زعم انه مبتكر فن المقامات، والحقيقة أن أبا بكر ابن دريد هو الذي أنشأ هذا الفن ويقر

---

(1).المرجع نفسه، ص. 35

(2).المرجع نفسه، ص41.

(3).بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان، شرح علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2002، ص 113.

جورجي زيدان أن أحمد ابن فارس له فضل السبق في وضع المقامات لأنه كتب رسائل نسج على منوالها العلماء واشتغل عليها بديع الزمان الهمذاني.

ويعارض القلشقندي في كتابه صبح الأعشى بشدة من كون الهمذاني متأثرا بغيره في إنشاء مقاماته يقول: « وأعلم أن أول من فتح عمل المقامات ، علاّمة الدهر وإمام الأدب البديع الهمذاني ، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه وهي غاية من البلاغة وعلو الرتبة في الصنعة، ثم تلاه الإمام أبو محمد القاسم الحريري» فلا لابن فارس ولا لابن دريد في رأيه كانت له يد في إنشائها ويرى أن كل الكتاب الذين جاؤوا بعده قد وقفوا عند ما اجترحه بديع الزمان الهمداني، ولم يزيدوا عليه فله فضل الريادة والأسبقية في هدا المجال ولم يتفوق عليه إلا الحريري لما تتميز به نفسه من شرف اللفظ وجودة المعنى، وبهذا لا تكاد تذكر لفظة مقامة إلا وكانت لصيقة ببديع الزمان، لما توفرت له موهبة فذة وإحاطة بالتراث العربي، شعره ونثره وقصصه ونوادره، جده وهزله فقد يمكن القول أنه استطاع أن يستوعب القص العربي.

ولقد شكلت أحاديث الجاحظ في "البخلاء"، رافدا هاما ساهم في ظهور المقامات كفن قائم، إذ ترجح بعض الكتب أن بديع الزمان الهمذاني قد اطّلع عن كثب على هذه الأحاديث في كتب الجاحظ. فقد كانت" أحاديث الجاحظ أساسا من أسس فن المقامات من حيث فكرتهم العامة "الكدية، فحوت هذه الرسائل الكثير من حيل الشحاذين وأساليبهم المبتذلة للوصول إلى المال من أسرع الطرق، ولعل اطلاع بديع الزمان الهمذاني على هذه المؤلفات مده بنظرة أكثر توسعا وشمولية حول صنعة الكدية وأبعادها المادية والنفسية.

نستنتج مما سبق أن مقامات البديع جاءت كرد فعل على أحاديث ابن دريد إما إعجابا بها لأنها كانت تمتاز بأسلوب راق يعتمد فيه على الزخرف اللفظي والغريب من اللفظ مما جعل الهمذاني يعجب بها ويحاول التقليد أو النسج على منوالها.

3. أسلوب الهمذاني في المقامات:

إذا أردنا الحديث عن هيكلة المقامة فذلك يستدعي منا ربطها بفن القصة « فلقد كانت المقامة إرهاصة قصصية ومرحلة من مراحل النثر الفني مرت بها الأحاديث والأسمار نحو القصة، وربما

يكون الطريق قد طال بها فاستغرقت أجيالا كان ينبغي ألا تستغرقها»[1]، فالمقامة في حقيقتها لبنة أساسية أدت على نحو ما إلى ظهور القصة كفن أدبي قائم.فهي في شكلها القديم قصة لأنها تحوي نفس عناصر القصة من حبكة وشخصيات، و عقدة وانفراج للعقدة.

إن أول ما يفتتح به الهمذاني مقاماته ذكره لشخصيات من صنع خياله أطلق عليها أسماء معينة وهي من تقوم بتحريك أحداث المقامة "فعيسى ابن هشام وأبو الفتح الاسكندري، جعل الأول الراوي والثاني البطل المغامر وكان يفتتح مقاماته بعبارة "حدثني عيسى ابن هشام

إن الطابع العام لهيكل المقامة هو شبيه بالقصة ولكن ليس مطابقا له، لأن القصة إنما تأخذ حيزا زمنيا ومكانيا أطول، خاصة إذا كنا نتحدث عن القصة لا القصة القصيرة، ولكن المقامة تكون في ظرف أو زمان أقصر لا تنتهي بموت البطل ولكن بتمكن الكدي من نيل مراده والظفر بالمال أو الطعام. أما نهاية القصة فتكون إما نهاية درامية محزنة أو نهاية سعيدة.

فالمقامة على حد قول مرتاض أنها فن « إن فن المقامة ابتدأ أول ما ابتدأ بالحكاية البسيطة، أو الحديث الأدبي القصير يلقيه أعربي بين خليفة من الخلفاء أو جماعة من عامة الناس يسأل نوالا، ثم مازال يرتقي ويتطور إلى أن بلغ مرحلة المقامة الفنية التي تتخذ لباس الأقصوصة القصيرة من حيث كثير من المقومات القصصية» [2]

إن اتخاذ الهمذاني الإملاء سبيلا لإلقاء مقامات يدل على أنه كان يتسم بذكاء حاد وسرعة بديهة وذاكرة قوية وفطنته، تسمح له بحفظ مقاماته وإعادة إملائها عليهم ارتجالا وبديهيا في آخر مجلسه ويحكى أن الهمذاني« كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه اقترحوا غرضا نبني عليه مقامة، فيقترحون ما يشاؤون فيملي عليهم المقامة ارتجالا في الغرض الذي اقترحوه»[3].

كما أن له مقامات اهتمت بالأدب والشعر وحملت في طياتها أساليب الوصف البارع والهجاء المقذع، وصورة نقدية لمذاهب أو فنون أدبية، كانت منتشرة في عهد الهمذاني منها: المقامة الحمدانية، المقامة الشعرية، المقامة القريضية والجاحظية، وقد كانت هذه المقامة تلقى في أماكن

(1).مقامات السيوطي الأدبية والطبية، شرح وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،(د ت) و(د ط)، المقدمة.
(2).عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص2.
(3).شرح مقامات الحريري، شرح وتحقيق: يوسف البقاعي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان،1985م، ص12 .

فسيحة مليئة بالناس بغرض نشر الوعي الديني. كما نجد مقامات أخرى كانت قية بغرض وصف أطعمة معينة كانت منتشرة آنذاك أو وصف بارع لحيوان ما بطريقة فنية وألفاظ منتقاة بعناية قصد التأثير وتحقيق الغاية المنشودة وراء المقامة.

_خصائص وأسلوب المقامات

إن فن المقامة من فنون الأدب العربي له وقواعده وأصوله التي حافظ عليها زمنا طويلا حتى قيل عنها أنها لون من ألوان القصص يحمل بعض سماته، ويتلون بشيء من ألوانه، ولكن في إطار قصصيا وهذا ما سيتضح الآن:

1-الابتداء بلفظة "حدثنا ثم يأتي ذكر اسم راوية واحدة مثل عيسى بن هشام عند الهمذاني وأبا الحارث بن همام عند الحريري، ثم دور البطل الرئيسي عادة ما يكون بارعا في القول يكسب عيشه بالحيلة والاستجداء مثل : الاسكندري عند الهمذاني، وأبي زيد السروجي عند الحريري

2-العقدة : وتظهر العقدة في المقامات القصصية تبعا لتطور الأحداث والمواقف، حتى تصل إلى ذروة التأزم فيتشوق القارئ إلى معرفة الخاتمة، ومصير البطل ويذكر عبد المالك مرتاض كان بديع الزمان يطور العقدة تبعا للمواقف القصصية، وللأفكار التي يعالجها في المقامة، ولم يكن كالحريري، لايقيم هذه العقدة إلا على معرفة ما يحدث للشحاذ المغامر.

3-الحوار: ويعد الحوار من أهم العناصر الفنية في المقامات، إذ أن له فعالية في تطوير الأحداث مما يجعل المقامة تتحول إلى ما يشبه مسرحية قصيرة ذات مشاهد مختصرة.

4-اللغة: عادة ما يلجأ أصحاب المقامة في أساليبهم إلى لغة متينة أنيقة أحيانا وغريبة ثقيلة أحيانا أخرى وغالبا ما كانت اللغة تعبر عن ثقافة صاحب المقامة أو المثقفين في عهده، أما الحريري فقد كانت لغته شديدة الغرابة في بعض المقامات .

5_التشابيه : غالبا ما نلمس في المقامات تشبيهات فألفينا التشبيهات فيها مادية محسوسة في معظمها. وقد وجدنا في المقامات تشبيه المحسوس بالمحسوس أشيع، وعليها أغلب... في معظمها

أيضا تميل إلى الاغتراف من الظواهر الطبيعية والكونية كالسحاب والمطر والريح» .. ومن أمثلة ذلك ما ذكره الهمذاني في المقامة الأسدية في صحبة أفراد كنجوم الليل.

6-الاستعارة والكناية : معظم المقامات كثيرة الاستعمال للاستعارات أكثر من التشبيهات والملاحظ عليها أن الحريري أكثر من استعملها، كذلك الاستعارات والكنايات والمجاز في معظمها لا تخرج عن الطبيعة المادية.

غاية أصحاب المقامات في استعمال هذه الضروب من البيان هو حب التشخيص، وبعث الحياة في التعابير الجامدة فتزداد بها المعاني وتقويتها .

7-السجع والجناس : يعتبر من أكثر المحسنات البديعية اللازمة للأبد في المقامات وأكثرها الطباق والمقابلة.

كما تتميز المقامات بقرض الشعر وأيضا بحسن المواءمة بين الشعر والنثر، ضف إلى ذلك الاقتباس من القرآن الكريم والاستشهاد بأمثال وشواهد من الحكم.

غرضها التربوي : إن هذا الضرب من الفنون كان له أبعاد تربوية إلا أن الهمذاني كان يحرص من خلال مقاماته إلى تحقيق أغراض تعليمية واجتماعية وعليه يقول شوقي ضيف غاية البديع تعليمية في الأساس، فقد أملى جلّ مقاماته على طلابه في نيسابور، ومنها مسائل في النقد واللغة ومعارض من الأسجاع والمحسنات وغريب اللفظ.

فالمقامة من خلال خصائصها التي ذكرت فإن أسلوبها يغلب عليه السجع بالدرجة الأولى أما المحسنات البديعية الأخرى جاءت في مواطن متفرقة في المقامات.

إلا أن " الهمذاني " يخرج من هذه المواضيع كلها ليدخل في مواضيع أخرى كانت بالنسبة إليه مهمة، فرضتها ظروف حياته، من جهة، وظروف كونه كاتباً ومثقفاً ومناظراً وعالماً، من جهة أخرى، لهذا كانت هناك موضوعات أخرى فرضت نفسها في تلك المقامات كانت على النحو التالي:

1-المديح:

إذ إن " الهمذاني " ولأسباب حياتية – بما عرف عنه من تنقل وترحال بين الدول –كتب ست مقامات في مديح " خلف بن أحمد "، والي سجستان التي أمضى فيها حوال سنتين من عمره، وفي هذه المقامات الست بالغ وأطنب في ذكر محاسن هذا الرجل، ففي المقامة الملوكية، يتجاوز" الهمذاني " كل الملوك السابقين ليصل إلى القول عنه: " الذهب أيسر ما يهب، والألِف لا يعمه إلا الخَلف، وهذا جبل الكحل قد أضر به الميل، فكيف لا يُؤثر ذلك العطاء.

2-اجتراح النقد:

ففي أربع مقامات هي: "الشعرية" و" العراقية" و" القريضية" و"الجاحظية " يتحول " الهمذاني" إلى ناقد أدبي يوزع أحكامه ويطلق سهامه على الشعراء والكتّاب على حد سواء، وقد أثبت في ذلك أنه صاحب ذائقة رفيعة، فقد أطلق أحكاماً بدت نهائية غير قابلة للنقاش على " امرئ القيس"، و"الفرزدق"، و"الأخطل"، وغيرهم، وكذلك كان يسأل أسئلة مفاجئة يجيب عنها أيضا إجابات ذكية وفي المقامة الجاحظية، نرى " الهمذاني " ينتقد الجاحظ لخلو نثره من السجع ولعدم قوله الشعر.

3-الوعظ والدعوة إلى الزهد:

وقد ورد هذا في مقامتين هما: الوعظية والأهوازية، وفيهما دعوة إلى التأمل والتزهد والتقشف والاستعداد لليوم الآخر.

ويرى وهيب طنوس أن الوصف من الفنون المقصودة في مقامات الهمذاني، وهذا ما نلاحظه في (الأَسدية)، والقصة هنا في جملته ا فكاهة، لكن الوصف ظاهر فيها وبين، وفيها فقرات وصف رائعة، والحركة فيها قوية،والمناظر تتوارد في حياة وانسجام، فكأن " بديع الزمان " لا يقصد غير هذه الأوصاف. أما (المقامة الخمرية) فقد وضعت قصداً لوصف الصهباء.

-**الحض على العلم والتعليم:** كما في المقامة العِلمية: الشخصية الرئيسية في مقامات الهمذاني هو " أبو الفتح الأسكندري" التي عرفها، يوسف عوض بأنها " شخصية فنية استجمع مؤلفها أبعادها من واقع بيئته، وعلى وجه التحديد استخراجها من بين المتسولين.

2عناصر المقامة

تحتوي المقامة على عدد من العناصر كغيرها من الفنون الأدبية، وفيما يأتي عرض لهذه العناصر:

الراوي: هو الشخص الذي يقوم برواية المقامة، ويتكرر في مقامات المؤلّف الواحد، فالراوي في مقامات بديع الزمان الهمذاني هو عيسى بن هشام، ووظيفته نقل أحداث المقامة، عن طريق متابعته لسيرها بالاعتماد على معرفته ببطل المقامة، وتأثيره في الأحداث الخاصة بها، وأيضاً يقوم الراوي بإبداء رأيه أحياناً ببعض التصرفات التي يقوم بها البطل، مثل: الاحتيال، والخداع.

البطل: هو الشخص الذي ترتبط به كافة أحداث المقامة، وينتهي كل حدثٍ بتحقيقه للانتصار دائماً، والبطل في مقامات بديع الزمان الهمذاني هو أبو الفتح الاسكندري، ووظيفته التأثير في المقامة، ويتكرر في كافة المقامات، وتتميز شخصيتهُ بأنه رجلٌ مخادعٌ، ومحتال، ويعتمد على الدهاء في الاستيلاء على أغراضِ وأموال الناس.

القصة: هي التي تدور كافة أحداث المقامة حولَها، والتي ترتبط بالراوي، والبطل، وكافة الشخصيات الثانويّة الأخرى، وعادةً قد تشير هذه القصة إلى نكتة، أو فكاهة معينة، أو قد ترتبط بسلوكٍ إنساني معين، أو بموضوع ما، سواءً أكان لغوياً، أو أدبياً، أو بلاغياً أو غيرها، وتنتهي الفكرة الرئيسية للمقامة مع انتهائها، والوصول إلى نتيجةٍ معينة.

تعريف موجز برائد فن المقامات:

1- أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني :

هو الكاتب المترسل و الشاعر المجيد بديع الزمان الهمذاني ولد في همذان سنة 358 هـ من أسرة عربية ذات علم و فضل مشهورة في مدن الجبال، ذات تاريخ قديم، يقال عنها أن أهلها أعذب الناس كلاما و أحسنهم خلقا و ألطفهم طبعا من خاصيتها أن لا يكون للإنسان بها حزينا و لو كان ذا مصيبة و هي أول عراق العجم، ويقول صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق في كتابه:"مراصد الإطلاع" :"أنها أكبر مدينة من بين مدن الجبال و مازالت محلا للملوك و معدنا لأهل الدين والفضل إلا أن شتاءها مفرط البرد حتى قيل فيه شعر كثير. وبديع الزمان عربي الأصل سكن أهله ديار العجم، شأنهم في ذلك شأن كثير من العرب الذين استوطنوا الأرض الإسلامية و هو متعصب للعرب على غيرهم، إذ يقول في رسالة إلى " أبي الفضل الإسفرائيني":" إني عبد الشيخ، و اسمي أحمد وهمذان المولد و تغلب المورد و مضر المحتد ".

و هو ينتصر للعرب فيقول في رسالة إلى الشيخ الرئيس " أبي عامر " في معنى السذق:" نحن أطال الله – بقاء الشيخ، إذا تحدثنا في فضل العرب على العجم ، و على سائر الأمم أردنا بالفضل ما أحاطت الجدود و لم تنكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابسا وأنعم منها مطاعما، واكثر ذخائرا وأبسط ممالكا وأعمر مساكنا"[(1)]

فبديع الزمان عربي متعصب يلبس ثوب العروبة من هامة رأسه إلى أخمص قدميه، و هو ذو فضل و بلاغة وذكاء و عبقرية، سريع الغضب كثير النفور ترك " جرجان" : لخلاف خفيف بينه و بين أحد أفراد أسرة بني ميكال. [(2)]

يصفه شيرويه " بأنه من مفاخر همذان و ما أخرجت همذان بعده مثله روى عنه أخوه " أبو سعد بن الصفار" و القاضي أبو محمد عبد الله ابن الحسين النيسابوري" الذي يقول إن وفاة بديع الزمان كانت في 398 هـ.

ويصفه الثعالبي " بأنه معجزة همذان، نادرة الفلك وبكر عطارد، وفرد الدهر وعزة العصر، و أنه لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر، وشرف الطباع و صفاء الذهن وقوة النفس و أنه لم يدرك قرينه من

---

[1]– مصطفى الشكلي ، بديع الزمان الهمذاني مكتبة القاهرة الحديثة دار الحماس للطباعة – القاهرة ، مصر 1959 ص 21 .

[2]– مصطفى الشكلي ، المرجع نفسه ص 22 .

ظرف النثر ومليحه، وغزر النظم ونكته، لم يرو و لم يرو أن أحدا بلغ مبلغه من لب الأدب وسره، وجاء بمثل إعجازه و سحره [1].

فكان صاحب عجائب و بدائع و غرائب، من عجائبه أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط و هي اكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها و يؤديها من أولها إلى آخرها و لا يخرم حرفا، و لا يخل معنى.

ومن عجابته أيضا أنه كان ينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يره نظرة واحدة خفيفة، ثم ينشد هذه الصفحات عن ظهر قلب دون أدنى خطأ ويسردها سردا و هذه الحالة في الكتب الواردة عليه وغيرها وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطر منه ثم هلم جرا– إلى الأول و يخرجه كأحسن شيء وأملحه ويقترح عليه كل عويص و عسير من النظم والنثر فيرتجله في أحسن من طرف على ريق لا يبلعه و نفس لا يقطعه [2].

إذن فبديع الزمان رجل ورث الخلق العربي و عاش به في بلاد العجم، و لكن هذه العبقرية الخارقة والذكاء الوقاد الذي ظهرت مخايله عليه منذ نعومة أظفاره، لا يمكن أن يكون نتيجة لمزيج واختلاط و تزاوج بين أبائه و أجداده العرب و بين عائلات الفرس في تلك المنطقة العجمية لأن التزاوج بين جنس و جنس ينتج نسلا ذكيا صحيح العقل، لبيب الفؤاد.

على أن :" براون Brown يعد بديع الزمان أديبا من أدباء فارس و لذلك فقد ترجم له في كتابه: " Aliterary of History persia " و يقول:" أن هذا البديع من أبرز كتاب العرب الذين أنجبتهم فارس " .

والأمر الذي لا شك فيه أن بديع الزمان لم تكن ثقافته عربية فقط بل كانت عربية فارسية ومؤكد أن تضلعه في الفارسية و آدابها أسدى إليه أكبر فائدة في إنتاجه العربي ونرى تعصب بديع لعروبيته

و إنما كان لما ظهر بين الفرس من بداية موجة عنيفة من التعصب لجنسهم [3] بدت هذه الموجة عند " مهيار الديلمي " في شعره العربي و اتخذت شكلا أوسع حينما كتب الفردوسي و هو معاصر البديع ملحمة الشهنامة التي يمجد فيها فضل الفرس و تاريخهم و يتحاشى فيها إستعمال الألفاظ العربية التي كانت و لا تزال

---

[1]- يسري عبد الغني عبد الله – ديوان بديع الزمان الهمذاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 ، 1987 ص17

[2]- يسري عبد الغني عبد الله – المرجع نفسه 1800

[3]- مصطفى الشكلي – المرجع السابق ص 23

إلى اليوم متداخلة في اللغة الفارسية و هذا العصر هو البداية لما يسميه المستشرق براون" the revolution of persia " أي التمرد أو التحرر الفارسي [1].

البديع شاعر و ناثر و هو في كليهما قد ضرب بسهم بعيد المرمى و اغترف من بحر عميق الغور إلا أنه البحر العذب الفرات، و إن مقاماته التي بين أيدينا و التي عنينا بالتعليق عليها لخير مثال من النثر البارع و له سواه رسائل نورد منها قطعة تنبئ عن إقتداره و تفوقه ".

كتب إلى الأمير أبي نصر الميكالي يقول:" كتابي، أطال الله بقاء الأمير و بودي أن أكونه فأسعه به دونه ولكن الحريض المحروم، لو بلغ الرزق فاه، لولا قفاه، وبعد فإن لي في مفتاحه ثقة تعد ويدا ترتد، و لم ذاك، والبحر إن لم أراه فقد سمعت خبره، ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره، وإذا لم ألقه، فلم أجهل إلا خلقه، وما وراء ذلك من أصل تالد و نسب طارف فضل و أدب ، فمعلوم تشهد به الدفاتر والخبر المتواتر وتنطق به الأشعار ، كما تختلف عليه الآثار و العين أقل الحواس إدراكا و الأذن أكثر استمساكا ".

و هو في شعره لم يقصر عن نثره و ربما كان شعره أمتن لفظا و أروع معنى فمنه من قصيدة مدح بها الأمير أبا علي:

أبـي مقـام بـدار الـذل بي كـرم و همة تـصل التوحيد و الخـببا

و عـزمة لا تـزال الدهر ضــاربة دون الأمير وفـوق المـشتري طنبا

يا سيـد الأمـراء إفـخر فلا مـلك إلا تمنـاك مـولى و إشـتهاك أبـا

و كان يحكيك صوت الغيث مـنكسيا لو كان طلق المحيا يمطـر الذهـبا

و الدهر لو لم يخن و الشمس لو نطقت و الليث لو لم يصد و البحر لو عذبا ([2])

[1]- مصطفى الشكلي – المرجع نفسه ص 24

[2]- محمد محي الدين عبد الحميد ، المرجع السابق ص 9

و قد إتفق المؤرخون على أن بديع الزمان توفي بـ " هرات " سنة 398 هـ و يذكر " إبن خلكان : رأيين في وفاته :

الرأي الأول : أنه مات مسموما ، أما

الرأي الثاني : و يشاركه فيه الكثيرون من مؤرخي الأدب أنه أصيب بغيبوبة فظن أنه مات و عجل بدفنه، فأفاق في قبره و سمع صوته في الليل فنبش عنه، فوجد ميتا من هول القبر، وقد أمسك لحيته بيده. [1].

[1]- مصطفى الشكلي ، المرجع السابق ص 25